

والمدرسين يعجب الطلبة فصيح كلامهم وبراعة بيانهم وبلغ حوارهم وعذب حديثهم ، وهم يؤثرون فيهم بذلاقة الستهم ، واتساق أفكارهم ، وترتيب معانيهم . لكنهم لا تعدو محاضراتهم جدران كلياتهم وقاعات محاضراتهم ، وإذا خرجوا منها أصبحوا كعامة الناس لا يمتازون عليهم بعمل تتخذه الانسانية مثالا يحتذى ، ولا يخلق يختلفون به عن غيرهم هديا وسمتا .

لقد رأينا على مسرح العالم كثيرا من الملوك الجبابرة الذين حكموا العالم واستولوا على الممالك ، واستعبدوا الأمم . وكم من أرض عمروها ، ومدينة دمرها ، وكم وضعوا شعوبا ورفعوا آخرين ، وكم سلبوا ومنحوا ، وضروا ونفعوا فكانوا في سيرتهم كما قال الله عز وجل على لسان ملكة سبا (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) « النمل ٣٤ » . نعم إن السيوف البواتر في ايدي بعض الملوك قد قذفت الرعب في قلوب المجرمين فكفوا عن اقتراف الجرائم علانية وفي وضوح النهار مستترين وراء مكانم الريب أو قابعين في بيوتهم . لكن سيوف الملوك عجزت عن أن تستل الرذائل من قلوب أهلها ، وأن تحسم مادة الشر في نفوسهم ، وأن تطهر صدورهم من فساد السرائر ، ذلك الفساد الذي يحمل أهله على ارتكاب المعاصي واقتراف السيئات . وأقصى ما يترتب على رهبة المجرمين والمرجفين من سيف الملوك المسلط عليهم أن يسود الأمن والسلام سبل البلاد وأسواق المدن وشوارعها وحاراتها ، أما إصلاح القلوب وتهذيب النفوس فمما يخرج عن سلطان السيف وتعجز عنه ارادة الطغاة . بل الحق - والحق أحق أن يقال - أن رأس كل شر إنما نجس من قصور بعض الطغاة . وإن كل فساد نبت نابتة في فناء حصونهم ، بل في قصورهم نبعت عيون الفواحش والجرائم ، ومن